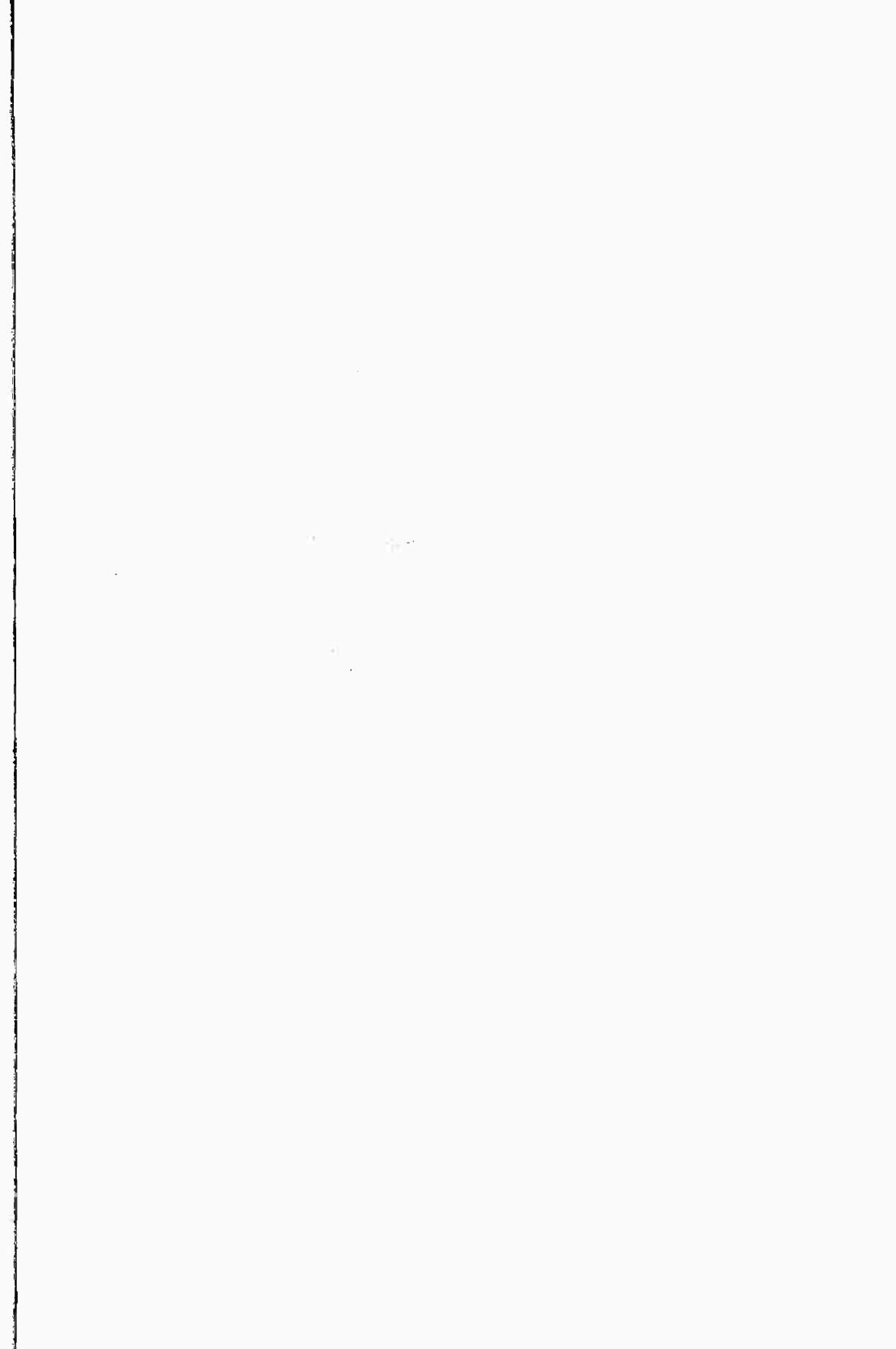


الفصل الرابع

عالم المخلوقات الخفية
بين النور والظلمة
الملائكة. الجبر. إبليس. الشيطان



يأخذ عالم الغيبيات حيزاً واسعاً في الكتب السماوية والديانات جميعها .
وينظرة إجمالية ، فإن العقائد لدى كثير من الشعوب تُعيد عالم الغيبيات إلى
صنفين يمثلان الخير والشر ، وأساس هذا التصور قديم قدم الإنسان ، إذ هو يقوم
على الصراع بين قوى تمثل الخير وقوى تمثل الشر .

وتتضح صورة هذا الصراع بشكل أوسع في العقائد الثلاث اليهودية المسيحية
والإسلام إذ أصبح فيها تصنيف واضح ، فالملائكة تمثل جانب الخير في عالم الوجود
الغيبى . والشيطان أو إبليس يمثل جانب الشر بكل أبعاده النفسية والدينية .

غير أن القرآن الكريم أوضح كثيراً من طبيعة هذه المخلوقات ومهامها .
وكذلك فقد حوت نصوص التوراة كثيراً من الأحاديث عن هذه المخلوقات .

ويعتبر الإيمان بالملائكة جزءاً من العقيدة الإسلامية إذ أن العقيدة تربط بين
الإيمان بالله وبرسله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وقد تلاقت نصوص القرآن مع نصوص التوراة في الحديث عن بعض
المواقف الواقعية والأحداث ، وما للملائكة من دور فيها . ولكنها اختلفت فيما
بينها في كثير من الصفات والمهام أيضاً . إضافة لما ورد في العقيدة اليهودية من
ميل إلى تقديس إبليس ومن عداة للملاك جبريل .

وقد اختلف على كتابة التوراة أو هم خلطوا بين عمل الله سبحانه وعمل
الملائكة والجن . فنسبوا أعمال الله إلى إبليس تارة ونسبوا أعمال إبليس إلى الله
تارة أخرى . وقد ورد ذلك في عدد من نصوص التوراة . ولا يأخذ الجن حيزاً
واسعاً في التوراة كما هو في القرآن الكريم . بل إننا نجد أن التوراة تتحدث أحياناً
عن استعانة بعض ملوك بني إسرائيل بالجن أو بالعرافات والعرافين الذين يدعون
أن الجن يخدمهم ، وينفذ أوامرهم .

وفي عدد من نصوص التوراة نعر على ما يسمى الكرويم وهي جمع لكلمة
كروب ، ويمثلون لهذه المخلوقات بأجسام لها أجنحة وأشكال غريبة . وقد

يرمزون بها إلى قوى قد تكون من الملائكة أو من غيرها.

ويمكن لنا أن نركز في ذلك على عدة أمور، يمكن أن نعتبرها مفتاح المقارنة والدراسة.

أ- الملائكة وأصنافهم ومهماتهم

ب- إبليس أو الشيطان . طبيعته ومهامه

ت- الجن

ث- الكرويم والتجسيد

ج- اختلاط أعمال هذه القوى المخلوقة بأعمال الله في التوراة .

عالم الملائكة

من خلال ما تعلمناه من القرآن الكريم نرى أن عناصر المخلوقات العاقلة ثلاثة أنواع: الإنسان . الملائكة . الجن .

وقد ورد الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم عشرات المرات بصيغة الجمع ومرات عديدة بصيغة المفرد - ملك - .

ولعل أول ذكر للملائكة في السياق الزمني هو الذكر المرتبط بخلق آدم . وهذا يعني أن الله خلق الملائكة قبل أن يخلق آدم عليه السلام . يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30] .

فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن الملائكة يسبحون الله ويقدمون له وهذه هي مهمتهم الأولى بشكل عام .

ويقول تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

بِأَسْمَاءٍ هُنَّ أَزْوَاجٌ لِّمَنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿البقرة: 31- 32﴾.

ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة: 34﴾.

وفي الآيتين 31- 32 يبين القرآن الكريم محدودية علم الملائكة. فهم لا
يعلمون إلا ما علمهم إياه رب العالمين.

أما الآية 34 فتدل على أن الملائكة ينفذون أمر الله دون اعتراض.

فالحديث عن الملائكة يرتبط هنا بحدث محدد وهو خلق الله لآدم. ولو
راجعنا نصوص سفر التكوين التوراتي الذي يتحدث عن خلق الإنسان لما وجدنا أي
ذكر لهذا الحدث ولا أي ذكر للملائكة.

ففي اليوم السادس يخلق الله الإنسان بعد أن خلق السماوات والأرض
والوحوش والنبات.

تقول التوراة: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) تكوين 1: 26

وعن تعليم الله لآدم الأسماء تقول التوراة: (وجبل الرب الإله من الأرض
كل حيوانات البرية وكل طيور السماء وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل
ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور
السماء وجميع حيوانات البرية) تكوين 2: 19- 20.

ونلاحظ أن لا وجود للملائكة في عالم خلق الله. وقد اعتبرت أن آدم أول
مخلوق يتحدث أو يعقل. وهذا يدل على أن كنية التوراة يتجاهلون خلق الملائكة
ويعتبرون أن الإنسان الأول آدم العاقل هو الأساس في المخلوقات الحية العاقلة.
وقد نضع هنا سؤالاً استفهامياً حول ذلك التجاهل. لماذا التجاهل؟ ما أسبابه؟ ما
غايته وأهدافه؟

الملائكة والوحي

أوضحت آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يكلف الملائكة بمهمات، كل ملك له مهمة، وجبريل عليه السلام كان مكلفاً بتبليغ رسالة السماء. فهو الذي يحمل معه آيات القرآن الكريم ويلقنها لنبينا محمد ﷺ. وقد وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى أشكال الوحي الذي ينزل على رسول الله ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَيْهِ وَهُدًى وَنُذُرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 97-98].

ويقول تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلْأِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرًا ﴾ [التحریم: 4].

وهذه هي المرات الثلاث التي ورد ذكر جبريل صراحة فيها. وقد وصف الملك جبريل بعدة أوصاف في القرآن الكريم. منها الأمين. والروح القدس. والروح. والروح الأمين. يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: 192-195].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَنُذُرًا لِلْمُتْلِمِينَ ﴾ [النحل: 102].

ويقول تعالى: ﴿ يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: 2].

فجبريل أو الروح القدس أو الروح الأمين أو الروح. جميعها تطلق على جبريل عليه السلام وهو المكلف بتنزيل الرسالات وتبليغ أمر الله لأتباعه ورسوله. إن هذا ما لا تعترف التوراة به ولا في أي موضع منها. فجبريل لم ينزل بالرسالة على أي من الأنبياء.

وقد أورد المفسرون المسلمون سبب نزول قوله تعالى: قل من كان عدوا لجبريل . . . فأجمعوا على أن حديثاً نبوياً ورد من عدة أوجه يوضح المسألة: أخرج عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي . قال: (سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً ففرتموه لتابعيني . قالوا فذلك لك . قالوا أربع خلال نسألك عنها . أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة . وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأثني منه والذكر . وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة . فأخذ عليهم عهد الله لئن أخبرتكم لتابعيني . فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق . قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً طال سقمه . فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: اللهم نعم . فقال اللهم اشهد قال أنشدكم بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه ياذن الله . إن علا ماء الرجل كان ذكراً ياذن الله وإن علا ماء المرأة كان أنثى ياذن الله . قالوا اللهم نعم . قال اللهم اشهد . قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن النبي الأمي هذا تام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا نعم . قال: اللهم اشهد عليهم . قالوا أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك . قال: وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك . لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك . قال: فما يمنعكم أن تصدقوه قالوا: هو عدونا فأنزل الله تعالى: من كان عدوا لجبريل ... إلى قوله كأنهم لا يعلمون . فعند ذلك باؤوا بغضب على غضب .⁽¹⁾

وفي حديث آخر أخرجه سفيان بن عيينه عن عكرمة: كان عمر ياتي يهودا يكلمهم فقالوا: إنه ليس من أصحابك أحد أكثر إتيانا إلينا منك فأخبرنا من

(1) السيوطي . الدر المنثور في التفسير المأثور ص 173 . 174 .

صاحب صاحبك يأتيه بالوحي فقال: جبريل . قالوا: ذاك عدونا من الملائكة ولو أن صاحبه صاحب صاحبنا لتبعناه . فقال عمر: من صاحب صاحبكم قالوا: ميكائيل . قال وما هما . قالوا أما جبريل فينزل بالعذاب والنقمة وأما ميكائيل فينزل بالغيث والرحمة وأحدهما عدو لصاحبه . إلى آخر الحديث⁽¹⁾ .

واستنادا على ما جاء في حديث رسول الله ﷺ المستند على آيات القرآن الكريم ندرك أن جبريل عليه السلام ولي لكافة الأنبياء دون سواه . ولذلك تمحاشت التوراة ذكر جبريل وذكر تنزيل آيات الكتب السماوية على الأنبياء . وآيات القرآن الكريم تشير لنا أن جبريل عليه السلام مكلف بمواصلة الاتصال بكافة الأنبياء ، لأن كل ما يأمره الله به هو وحي يجب تبليغه تنفيذاً لأمر الله عز وجل .
أورد القرآن الكريم أنه أوحى إلى نوح . ولم تتضح كيفية الوحي أهي بواسطة الملاك أم في الرؤية .

فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: 36].

لكن التوراة تورد مرارا قولها: وقال الله لنوح . وقال الرب لنوح . وكلم الله نوحا . وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أئمرُوا... (وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلاً) . ولم تشر إلى وحي أو إلى الطريقة التي أوحى لنوح فيها .

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه قد أوحى إلى الأنبياء . وقد خاطب القرآن الكريم الرسول محمد ﷺ بقوله :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥١﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ

(1) السيوطي . الدر المنثور في التفسير المأثور ص 174 .

اللَّهُ مُؤْتَى تَكْلِيمًا ﴿ [النساء : 163-164].

والوحي له طرق وأساليب فما أوحاه الله لإبراهيم يختلف عما أوحاه للأسباط مثلا . والوحي بالكتاب غير الوحي بالتعاليم الشفوية . ونحن نعرف أن الله سبحانه لم ينزل كبا على كافة الأنبياء . والوحي كما هو معلوم من خلال الآيات الكريمة تختص به الملائكة وجبريل تحديدا .

وقد يشمل الوحي تبشيرا للأنبياء أو إنذارا .

يقول تعالى : ﴿ وَالْقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿ [هود : 69].

ويقول تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [آل عمران : 39].

ويقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿ [آل عمران : 42].

ويقول تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ [آل عمران : 45].

هذه الآيات توضح أن من مهمات الملائكة أيضا أن تبشر الأنبياء ببشارات كبرى ترتبط بالمعجزات ولا تخضع لناموس البشر أو قانون العقل الإنساني المحدود . أما في التوراة فيظهر ملاك الرب كما تسميه التوراة لهاجر زوجة النبي إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام عند عين ماء في البرية .

تقول التوراة : (فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين) تكوين 16 : 7-8 .

وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت جيلى فستلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك) تك 16 : 11 . ثم يظهر لها ملاك الرب مرة أخرى (فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو) تك 21 : 17 .

ويرد أيضا : (فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هأنذا) تك 22:11 .

ويرد أيضا : (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء) تك 22 : 15

وهذا ما يدل على أن ملاك الرب أو جبريل عليه السلام كانت له مهمة البشرى والتدخل لدى الأنبياء بأمر الله سبحانه وتعالى .

وفي القرآن الكريم يرد أن الله سبحانه بشر إبراهيم بإسحق نبياً . والبشرى كما ورد في الآيات السابقة كانت بواسطة الملائكة . فهم الذين بشروا مريم وزكريا وكذلك بشروا إبراهيم عليهم السلام جميعا .

ومن مهمات الملائكة أيضا أن الله سبحانه يرسلهم لمعاينة الأشرار من الأقوام والأفراد . وقد أورد القرآن الكريم قصة النبي لوط وقدم الملائكة إليه ينذرونه بأنهم سيعاقبون قومه . وقد صدر أمر الله بذلك . وقد وردت قصة قوم لوط في التوراة أيضا :

تقول التوراة : وجاء الملكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض .

وتقول التوراة : ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باسم المدينة) تكوين 19 : 15 .

ويقول القرآن الكريم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا يَوْمَ وُضِيَ يَوْمَ دُزَعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : 77] .

ويقول تعالى: ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ
مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُ مَآ أَصَابَهُمْ إِن مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ
أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : 81].

وتتفق نصوص التوراة مع آيات القرآن الكريم في توضيح مهمة ملائكة الله
ورسله في تدمير قوم لوط ومساكنهم .

وقد وردت في القرآن الكريم إيماءات وإشارات إلى أن الملائكة موكلون من
قبل الله بعقاب الضالين والكافرين من الأقسام السابقة .

ويتكفل الملائكة بأمر الله سبحانه بتبليغ الاطمئنان للمؤمنين والتبشير بالجنة
جزاء على إيمانهم وإخلاصهم لعقيدتهم .

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : 30-31].

ويؤيد الله المؤمنين بانزال ملائكته يقاتلون معهم في حريهم ضد المشركين .

يقول تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى مَعِدْكُمْ بِالْقَوْلِ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُرْسِدِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : 10-9].

ويقول تعالى: ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَفَتَيُّوْا الَّذِينَ ءَامَنُوا
سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾
[الأنفال : 12].

وللملائكة أيضا مهمة قبض الروح .

يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : 32].

ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [النحل: 28].

ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: 61].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11].

أما في التوراة فليس هناك إشارة إلى مهمة الملائكة بقبض الأرواح. وأعتقد أن مرد ذلك يعود إلى الارتباط الضعيف بين اليهود وبين الإيمان بما بعد الموت.

ويمكن أن نستعرض نصوص التوراة جميعها التي جاءت على ذكر الملائكة بمواقف شتى فمنها أن الله بعث رئيس الملائكة ليحارب مع جيش يشوع عند أريحا (أنه رفع عينه ونظر وإذا برجل واقف قبالة سيفه مسلول بيده فسارع يوشع إليه وقال له هل لنا أنت أم لأعدائنا فقال كلاب أنا رئيس جند الرب الآن أتيت) يشوع 13-14.

فهنا يشار إلى الملاك بأنه رئيس جند الرب أرسله الله للقتال إلى جانب يشوع.

وتقول التوراة: (وكان رجل من صدعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي. ولكنك تحبلين وتلدين ابناً والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً) قضاء 13: 2-3

وتقول التوراة: (فتكلم دانيال مع الملك يا أيها الملك عش إلى الأبد. إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرنني لأنني وجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً) دانيال: 6: 21-22

ويرد في التوراة إشارة إلى قوة الملائكة :

تقول التوراة: (باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه) الزمور 103: 20

تقول التوراة: (فقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك . فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب) قضاة ١٣ : ١٧

وتقول: (فكان عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامراته ينظران) قضاة ١٣ : ٢٠

وقول التوراة يدل في مضمونه على سرعة حركة الملائكة :

وتشير التوراة إلى بعض اسماء الملائكة

فجاء فيها: (ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتني) دانيال ١٠ : ١٣ - ١٤

ويرد اسم الملاك ميخائيل مرة أخرى عند قول التوراة

(ولكني أخبرك المرسوم في كتاب الحق ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا

ميخائيل رئيسهم) دانيال ١٠ : ٢١

ويرد أيضاً اسمه في قولها :

(وفي ذلك اليوم يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر) دانيال ١٢ : ١

ويرد اسم الملاك جبرائيل في قول التوراة: وسمعت صوت إنسان بين الآي فنادى وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا) دانيال ٨ : ١٦

والغريب في الأمر أن اسم الملاك ميخائيل (ميكائيل) واسم الملاك جبرائيل لم يردا في التوراة إلا في هذا الموقع . والغريب أيضاً أنهما لم يذكرتا حتى مع الأنبياء الهامين في التوراة كإبراهيم وموسى وداود باعتبار أن الملاك جبريل هو الذي ينزل الكتب من لدن الله سبحانه على هؤلاء الأنبياء المرسلين .

ويلفت النظر اعتماد التوراة على قولها إن ميكائيل رئيس الملائكة ولم يرد

ذلك في القرآن الكريم ولا يعترفون بأن جبريل هو ولي الأنبياء الذي هو الصلة بين الله وبينهم . ولكن كما أشرنا سابقاً إلى أن اليهود يكنون عداوة للملاك جبريل . ويعتمدون ميكائيل رئيساً للملائكة وولياً للأنبياء .

ويرد في التوراة اسمان يطلقهما التوراتيون على الملائكة وهما السرافيم . والكروبيم تقول التوراة : (في سنة وفاة عزيزا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل . السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة بائنين يغطي وجهه وبائنين يغطي رجليه وبائنين يطير . وهذا نادى ذلك وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصراخ وامتلاً البيت دخاناً) إشعيا 6 : 1 - 3

ولا يخفي علينا التجسيد لذات الله وملائكته . فقد رأى حزقيال السيد (أي الرب) جالسا على كرسي عال مرتفع وحوله الملائكة ذوو الأجنحة . وهذا دأب التوراة بالتجسيد وبالتأثر بأساطير الشعوب القديمة التي تصنع من مخيلتها هالة ملموسة ومحسوسة حول الله ومعاونيه .

أما الكروبيم فيرد ذكرهم في عدة مواقع من التوراة .

تقول التوراة : (ثم نظرت وإذا على المقبب الذي على رأس الكروبيم شئ كحجر العقيق الأزرق كمنظر شبه عرش) حزقيال 10 : 1 وفي هذا الإصحاح العاشر من سفر حزقيال ، يرد وصف كامل للكروبيم . ويشطح الخيال والتجسيد بكاتب التوراة ويصف الكروبيم بأوصاف يراها المرء أمامه مجسدة . فالكروب يمد يده إلى النار التي بين الكروبيم . (هذا هو الحيوان الذي رأيته عند نهر خابور) حزقيال 10 : 15

ويقول كاتب التوراة : (وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم . فرفعت الكروبيم أجنحتها وصعدت عن الأرض قدام عيني) حزقيال 10 : 18

ثم يقول: (هذا هو الحيوان الذي رأيته تحت إله إسرائيل عند نهر خابور)
حزقيال 10 : 20

ونستشف من هذا الكلام تجسيدا لذات الله وملائكته أن الله يركب على
حيوان ملائكي له أربعة وجوه وله أجنحة يطير من الأرض إلى السماء وهو يحمل
الله على ظهره .

ويرى كتاب قاموس الكتاب المقدس أن كروبيم جمع كروب . وهم ملائكة
يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى كما أقامهم الله على أبواب جنة
عدن عندما طرد آدم وحواء منها .

تقول التوراة: (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهب سيف
مقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) تكوين 3 : 13 ويقال عنهم إنهم ذوو أجنحة . أما
أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد وقد ورد ذلك في سفر
الخروج 25 : 18 و 19 وسفر أخبار الملوك الثاني 3 : 10-13 . وكان جناحا الكروبيم
يظللان التابوت . وجاء في المزمور 18 : 10 أن الملك داود قال إن الله ركب على كروب
لما ظهر بمجده على الأرض . وكما رأينا كانت الكروبيم تحت عرش الله لما ظهر
لحزقيال . وكان في هيكل سليمان كروبان كبيران مغشيان بالذهب يظلل جناحاهما
التابوت الذي كان بينهما وبين قدس الأقداس . وحيطان البيت كانت منقوشة بكروبيم
مع نخيل . وكذلك مصراعا الباب كانا منقوشين بكروبيم . ملوك 6 : 27-29

وكان وجود الكروبيم فوق التابوت لتظليل مجد الله عن الناظر . حزقيال
9 و 16 و 24⁽¹⁾ .

وقد خلطت التوراة أعمال الله بأعمال الملائكة أحيانا ، وأحيانا أخرى
خلطت أعمال الملائكة والله بأعمال الشيطان . ووقع كتاب التوراة في خطأ قاتل

(1) قاموس الكتاب المقدس 1 . حرف الدال 358-359 . حرف الكاف ص 779 . حرف
الحاء ص 302-303 .

حين وصفوا الله بأوصاف الملائكة ووصفوا الملائكة بأوصاف الله عز وجل .
ومن الاختلاطات التي وقعت فيها التوراة بين ذات الله والملائكة ما ورد في
سفر التكوين حين وصفوا الملائكة بأبناء الله .

تقول التوراة: وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات
أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما
اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد) تكوين 6 : 1- 3 .

ومن الاختلاطات الواضحة ما حدث في قصة النبي إبراهيم عليه السلام .
تقول التوراة: وظهر له الرب عند بلوطات عمرا وهو جالس في باب الخيمة وقت
النهار فرفع عينيه ونظر فإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم
من باب الخيمة وسجد إلى الأرض) تكوين 18 : 1- 2 . ويقول قاموس الكتاب
المقدس (ويظهر أن الرب كان واحدا منهم) ⁽¹⁾ .

ومن الاختلاطات أيضا ما يخلطون به عمل الملائكة بالشیطان والإنسان .
والمراجع لسفر صموئيل الثاني يرى أن بعض الصفات المتزمة للملائكة
تلتصق بالإنسان ، أو إلى أناس . وبعض الأعمال الخاصة للملائكة تنسب إلى بشر
وليس إلى أرواح سماوية . وقد رد القرآن الكريم على من زعموا أن لله بنات أو
أولادا في آيات قرآنية كثيرة .

يقول تعالى : ﴿ أَمْ آتَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ [الزخرف : 16] .

ويقول تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : 100] .

ويقول تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾
[النحل : 57] .

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 921 باب الجيم .

وجاءت هذه الآيات رداً على مَنْ زعم أن الملائكة أبناء وبنات الله . وعندما تنسب التوراة لله بنين فإنها بذلك تكفر بأبسط قواعد الإيمان .

وفي سفر أخنوخ الذي لم يدون في التوراة حديث طويل عن الملائكة .

وقد جاء فيه أن الأرض أخذت تنتحب وامتلات بصيحات الأسى فأثرت الأم الأرض في أربعة من الملائكة الأصدقاء الذين طلبوا من يهوه وضع حد لتلك المهزلة وفي الوقت نفسه نشأ نزاع بين السيد أزازيل وهو ملاك متزوج من فتاة أنسية والأمير سيميازاس . فتلقى هذا الأخير بضغ لكلمات على فكيه ، فقد منصبه على إثرها وحل أزازيل زعيماً بدلاً منه فأرسل يهوه رفائيل ليقتضي على أزازيل وحاصره في أحد الكهوف .⁽¹⁾

ودرجات الملائكة عند اليهود عشر درجات 1- كادوشيم أو المقدسون الطاهرون . 2- أفاميم أو السريعون . 3- أوراليم أو الأقوياء . 4- شاسمالميم أو المتوهجون . 5- سيرافيم أو الشرارات . 6- مالاقيم أو الرسل . 7- ألوهيم أو الإلهيون . 8- بن ألوهيم أو أبناء الله . 9- كيروبيم أو الثيران . 10- إيشم أو المتحمسون⁽²⁾ .

عالم الجن بين التوراة والقرآن

يأخذ عالم الجن والشياطين مساحة واسعة من القرآن الكريم . فهو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه . أشار القرآن بوضوح ، أنه خُلق من مارج من نار . وأفاضت آيات القرآن الكريم في الحديث عن الجن بأنهم أقوام مثلنا ، وفيهم الصالح وفيهم الكافر وقد جاء في التوراة أيضاً بعض الأحاديث عنهم وعن العرافين والعرافات الذين استعانوا بهم ظناً منهم أن لهم قدرات خارقة .

أما إبليس فقد أخذ الحديث عنه مساحات واسعة . واقرن اسمه بالشیطان

(1) ليوناكسل : التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير . ترجمة د . حسان اسحق ص 59 .

(2) المصدر السابق ، أعلاه ص 60 .

الذي يضل الناس ويعيث في الأرض فساداً.

ومنذ الحضارات الأولى تبرز صفات الشيطان على أنه يمثل الشر المطلق .
ودراسة الشيطان إنما هي العودة إلى تاريخ الأخلاق وتاريخ الإنسانية وأن من
الممكن استخلاص تاريخ الأخلاق الإنساني من تاريخ الشيطان⁽¹⁾ .

كيف تحدث القرآن عن الجن ؟

لو عدنا إلى تسلسل الأحداث الزمنية في القرآن الكريم وجدنا أن الحديث
عن الجن سبق الحديث عن آدم والبشر . وقصة الخلق الأولى الواردة في القرآن
الكريم توضح أن الله سبحانه أمر الملائكة بالسجود احتراماً لآدم الذي خلقه رب
العالمين فسجدوا إلا إبليس كان من الجن .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا ۗ ﴾ [الكهف: 50] . وهذا يدل على أن الله سبحانه خلق الجن قبل أن يخلق آدم .

وفي التكوين التوراتي لا ورود لكلمة جن أو إبليس أو الشيطان وقد رمز
كتاب التوراة إلى إبليس بالحية التي أغوت حواء فأكلت هي وزوجها من شجرة
الخلد . تقول التوراة : (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب
الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية من
ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسأه
لئلا تموتا . فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح
أعينكم وتكونان كالله عارفين الخير والشر) سفر التكوين 3 : 1 - 6 . وهذه إشارة
إلى سير سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة
الأخلاقية . وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين

(1) عباس محمود العقاد . إبليس ص 6 .

نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز⁽¹⁾.

وقبل أن نتعرض لدراسة ظاهرة الشيطان في القرآن الكريم والتوراة نعود إلى مسألة الجن وعلاقتها بالعقيدة. وكيف جاء الحديث عنها في القرآن الكريم والتوراة. فالجن كما ورد في آيات القرآن الكريم مخلوق من مخلوقات الله. والإيمان بوجوده هو إيمان بما قاله الله سبحانه وتعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن غاية الله من خلقه للجن والإنس هي عبادته.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: 56].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الله بعث رسلا إلى الإنس والجن.

يقول تعالى: ﴿ يَمَعَتَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنبِئُ وَيُنذِرُونَكَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتُهُمْ دُثْنُنَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: 130].

فالجن والإنس سواء في التكليف وسواء في الحساب. لقد جاءتهم رسلهم تبلغهم رسالة التوحيد فكفروا، فحق عليهم العذاب.

وفي السياق نفسه تورد الآيات القرآنية بما سيؤول إليه الجن والإنس بسبب كفرهم وانحرافهم.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَتْعَمِ يَلُّهُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179].

وتوضح آيات القرآن الكريم عجز الجن عن التنبؤ بالغيب. ومحدودية قوتهم أمام قوة الخالق عز وجل.

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94.

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۗ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ: 14].

وفي سورة الجن تحدد الآيات الكريمة صفات للجن .
 لقد استمعوا لآيات القرآن الكريم فأمن بعضهم .
 وقد استعان بهم بعض الإنس فزادوهم رهقا وتعبا .

وأن الجن حاولوا اختراق الفضاء لاستراق السمع فوجدوها ملئت حرساً شديداً من الملائكة .

واعترفوا أنهم لا يعرفون من أسرار السماء شيئاً .

يقول تعالى: ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً فَخَرْنَا شَدِيدًا وَشُهْبًا ﴾ [الجن: 8].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: 10].

وقد تحدى الله سبحانه الإنس وتحدى الجن في أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۗ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88] وتناولت آيات القرآن الكريم العلاقة بين الجن والإنس في الخروج عن تعاليم الله عز وجل ونشر الفساد والشر ومن ثم عاقبتهم جميعاً بما كانوا يعملون .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا بِمِعْشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۗ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا ۗ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: 128].

ويوضح مرة أخرى عاقبتهم لما فعلوه من إضلال بعضهم .

يقول تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِنَهُمْ لَأَوْلَنَّهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَابَتْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : 38] . فالآيات جميعها التي وردت آنفا تشير بوضوح إلى أن الجن مخلوق ، وأن فيهم رسلا يبلغون عقيدة التوحيد . فمنهم الصالحون المؤمنون ومنهم الكافرون . وسيحاسبون يوم القيامة ويعذب الكافرين منهم . وهم عاجزون أمام قدرة الله وعاجزون عن استشراف الغيب . ومساعدة غيرهم من الإنس الذين يستعينون بهم .

أما قصة الجن في التوراة فتختلف اختلافا كبيرا عما ورد في القرآن . ففي سفر التكوين لا وجود ولو لإشارة توحى بأن الله خلق الجن من مارج من نار . ولا ترد قصة سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس الجني على أمر الله .

وليس هناك إشارة إلى أن الجن أقوام وشعوب مثل الأنس ، ثم لا يرد أنهم مكلفون بالإيمان وأن فيهم رسلا يدعونهم إلى عقيدة التوحيد . ثم لا وجود لذكر حسابهم في يوم الدين .

وقد أوردت التوراة قصة عن استعانة الملك شاؤل بامرأة عرافة تستعين بالجن تقول : (فقال شاؤل لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور . فتتكر شاؤل ولبس ثيابا أخرى فذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا وقال اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فلم إذا تضع شركاً لنفسك لتميتها . . .) صموئيل أول 28 : 47 .

وقد جاء في التوراة حكم بالقتل على من كان به جان .

فتقول : (وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل . بالحجارة

يرجمونه دمه عليه) لاويين 20 : 27 .

وجاءت توصيات من الرب لموسى عليه السلام تحذره بأن لا يكون في قومه من يستعين بالجان (ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى) تثنية 18 : 11 .

إبليس في التوراة والقرآن

إبليس في القرآن الكريم اسم لجني معروف بعصيانه أمر الله سبحانه بالسجود لآدم، وقد جاءت آيات القرآن الكريم موضحة القصة بتفاصيلها في عدة سور قرآنية، ومن خلال سياقها نعرف أن إبليس خلق قبل خلق آدم. إذ أنه والملائكة كانوا مخلوقين، حاورهم رب العالمين في قصة خلق لآدم. وهذا يعني أن الجن مخلوق قبل آدم وإبليس من صنف الجن.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم إحدى عشر مرة، تسع مرات ارتبطت بمسألة السجود واثنين لم ترتبطا، إنما ارتبطتا بعالم الغيب قبل خلق الإنسان.

يقول تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: 30-31].

ويقول تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص: 73-74].

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: 32].
ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [طه: 116].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ: أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 20].

ويقول تعالى: ﴿وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: 95]، وسبقها قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٤﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٥﴾ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ ﴿٩٦﴾ وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: 92، 95].

ولو دققنا في سياق الآيات لوجدنا أن إيراد لفظة إبليس في هذا السياق لم تأت عبثاً. والواضح فإن إبليس كان عابداً لله موحداً، وقد حضر مع الملائكة عندما أبلغهم الله عز وجل أنه سيخلق خليفة له في الأرض. وأمره بالسجود له فسجدوا إلا إبليس. فإبليس قبل هذه المسألة لم يكن من الرافضين لوحداية الله وأوامره بل كان من المقربين. وطالما أن الأمر متعلق بأمر غيبي لم يكن البشر مخلوقين فإن لفظة إبليس هي المناسبة لهذا المقام. إذ لم يحصل الصراع بين الشر والخير بعد. حتى يطلق على إبليس اسم الشيطان. فإبليس هو الاسم الذي أطلقه الله على هذا المخلوق عندما كانت الوقائع تجري في السماء ولم يكن بشر بعد في الأرض، والآية التي تشير إلى جنود إبليس توضح أن جنوده هم من اتبعوه من الشياطين والإنس. وقد تحدث الله سبحانه عن ذلك في سياق يوم الآخرة، والحساب والعقاب فقال

﴿فَكَيْبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَحْمَقُونَ﴾ [الشعراء: 94]. أي أنهم ككبوا في نار جهنم. والنار والجنة أمران غيبان لم يرهما بشر رؤية العين. إذا فالحديث عن إبليس في أمر السجود أمر غيبي لم نره، والحساب والنار أيضاً أمر غيبي لا نراه. وهذا يقودنا إلى القول إن بداية إبليس غيبية ونهايته المحتومة غيبية بالنسبة لنا ثم في قوله تعالى: أتتخذونه وذريته أولياء من دوني. تشير إلى اتخاذ بعض البشر إبليس إلهاً باعتباره قوة قديمة خلقها الله قبل آدم ويزعم بعض عبدة الشيطان أن إبليس كان ذا قوة تضاهي قوة الله وإلا لما عارض ورفض إطاعة أوامره.

ونخلص من ذلك إلى أن مجيء إبليس في تسع آيات ترتبط بالغيب. أما الصراع بينه وبين الإنسان يأتي بعد مرحلة خلق آدم وغضب الله على إبليس، بعد أن رفض أمر الله. فأصبح الصراع بينه وبين الإنسان على الأرض فأطلقت عليه الآيات اسم شيطان. لأنه خرج من الجنة ومهمته الجديدة اختلفت عن مهمته وهو في عالم الغيب. لقد اقتصر مهمته في الغيب في رفض أمر الله فحسب بينما توسعت مهمته في الأرض بعد إنزاله من السماء. وتعددت وسنرى في آيات القرآن الكريم التي جاءت على ذكر الشيطان مهمات عديدة للشيطان حتى أننا نستطيع القول إنه مثل الشر المطلق على الأرض. بل مثل أحد طرفي الصراع في الوجود الأرضي. بحيث مثل الإنسان طرفاً والشيطان مثل طرفاً آخر.

وهناك أحاديث كثيرة في السنة النبوية وفي روايات ابن عباس وغيره من الصحابة تشير إلى أن إبليس كان ذا مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى. وقال بعضهم إنه كان من الملائكة واسمه عزازيل وذلك قبل أن يعصي أمره.

ورفض إبليس السجود لآدم كان أمراً مفترضاً لأنه حكم على ظاهر الأمور. فآدم مخلوق من طين وإبليس مخلوق من نار، ورأى نفسه أعلى مرتبة من آدم فرفض أمر ربه ولكنه لما تبين أن الله سبحانه نفخ في آدم من روحه أدرك أن آدم هو أفضل منه. ولكنه حق القول عليه فلم يرجع عن كفره وغيه وكبريائه، وأصبح العدو الأول لبني آدم بعد أن أصبح آدم في الأرض، وكثر نسله وبدأ

الصراع بينهم وبين إبليس ونسله من الشياطين .

إن جهل إبليس بعلم الله جعله يحكم على الأمور بظاهرها . وهذا بالطبع دليل قصور ومحدودية في قدرته لأنه مخلوق . والمخلوق مهما تفوق يظل مخلوقاً من صنع الإله .

ولم تظهر كلمة إبليس في العهد القديم (التوراة) وإنما وردت كلمة شيطان . وقد اختلط المصطلحان ببعضهما ، ورمز له بالحية في سفر التكوين . وقد أورد العهد الجديد الإنجيل شيئاً عن إبليس وعداوته لله وللإنسان والمسيح . ولهذا سندرس الشيطان وصفاته وأعماله كما وردت في القرآن الكريم والتوراة ، كما سنضيف رؤية التلمود للشيطان باعتباره شرحاً لأخبار اليهود الذين ادعوا أن التلمود من الله أوحى به للأخبار .

ورد اسم الشيطان في القرآن الكريم ستين مرة بصيغة المفرد شيطان . وثمانية عشرة مرة بصيغة الجمع شياطين .

ويمكن أن نلخص صفات الشيطان وأعماله على الشكل التالي :

- 1- إنه عدو لله والإنسان .
- 2- إنه يفسد العقول والنفوس ويوسوس فيها .
- 3- وعود الشيطان كاذبة وتؤدي إلى التهلكة .
- 4- يزين الأمور أمام الأعمى فيضل الناس .
- 5- ينهى عن الخير ويحرض على فعل الشر بكل أشكاله .
- 6- يتدخل الشيطان في النفس والعقل فينسي الإنسان ذكر ربه وينسيه الأمور .
- 7- للشيطان أولياء وجنود وأتباع وحزب .
- 8- يحذر الله سبحانه من الشيطان .
- 9- يحذر الله سبحانه من عبادة الشيطان لأن ذلك كفر بالله .

10- هناك شياطين من الجن وآخرون من الإنس مهمتهم الإفساد بين البشر.

11- مصير الشيطان وأتباعه نار جهنم.

12- جعل الله في السماء شهياً لرد الشيطان عن سرقة أخبار السماء.

13- ليس للشيطان سلطان على عباد الله المؤمنين.

وأمثلة على ما قلناه نرى الآيات القرآنية الكريمة التالية .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: 27].

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: 5].

يقول تعالى : ﴿ فَأَنسَنُ الشَّيْطَانَ ذِكْرَ رَبِّهِ ۗ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعِّ سِينِ ﴾ [يوسف: 42].

يقول تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۗ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: 120].

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ۗ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْآفُقَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 48].

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: 91].

يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۗ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: 63].

يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلِيَٰٓ أُولِيَآئِهِمْ لِيُحَدِّثَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 121].

يقول تعالى: ﴿أَسْتَخُوذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۗ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 119 - 120].

يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْوٍ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: 68].

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5].

يقول تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً فَخَرْنَا شَدِيدًا وَشُبُهًا﴾ [الجن: 8].

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۗ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَىٰ نَبَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوَهُمْ مِمَّا يَرِيدهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِيَّةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خُلِقَ مِنِّي أَمْ كُنْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَلِيلًا ﴿١١﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿١٢﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصُورَتِكَ وَأَجَلِبَ عَلَيْهِمْ بِخُلُوعِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ ۗ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۗ وَكُلٌّ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: 60 - 65].

فمن خلال آيات القرآن الكريم ندرك أن الشيطان له مهام كثيرة، أهمها الإفساد بكل وجوهه . ولكن تبعية ذنب الإنسان التي يحملها للشيطان ليست سوى تبعية الإنسان نفسه . فهو يتبع الشيطان وما زين له من مفاتن . ولكن ليس للشيطان سلطان جبري قدري على الإنسان . وهو مخلوق مثله مثل الإنسان .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴾ [الصافات : 30] . والشيطان يأمر بالكفر الإنسان فإذا ما أوقعه في الكفر تخلص عنه وتبرأ منه .

يقول تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر : 16] .

ويقول تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْوَ أَنْفُسَكُمْ لَمَا أَنَا بِمُضِرِّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : 22] .

ويربط القرآن الكريم الجن بالسحر وآثاره الضارة السلبية على الإنسان فعلم الغيب والسحر لدى الشياطين ليس إلا خداعاً للحس وفتنة للنفس تخيل إلى المخدوع ما ليست له حقيقة قائمة في غير وهمه⁽¹⁾ وعندما أتى القرآن الكريم على قصة هاروت وماروت وقصة الشياطين الذين كفروا لأنهم راحوا يعلمون السحر للناس بما يضرهم فإنه فند الزعم بأن الشياطين والجن يعلمون بالغيب أو يستطيعون ضرر الناس بدون إذن الله عز وجل .

يقول تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَتَلَوُا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَئِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْبَيْعَةَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِلَّا الْقُرْآنَ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يَلْمِزُوا أَلْسِنَهُمْ لَوْلَا رَدُّ قَوْلِهِمْ فِي الَّذِي ظَنَرُوا أَنَّهُمْ هَارُونَ ﴾ [البقرة : 102] .

(1) عباس محمود العقاد . إبليس صفحة 127 .

وَمَرْبُوتٌ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۚ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ آسَأْتَنَّهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: 102].

هذا هو الشيطان وهذه هي الشياطين كما علمناها وعلّمنا أخبارها من القرآن الكريم ولكثرة الآيات الكريمة التي تحدّثت عن الشياطين سبب واضح هو أن الشيطان يمثل الشر المطلق ، وهو أحد طرفي الصراع في هذه الحياة الدنيا .

أما التوراة فإنها تناولت الشيطان في مواقع قليلة من أسفارها . وكما أن مفهوم الإله المطلق لم يكن واضحاً لدى بني إسرائيل ، فإن مفهوم الشر والشيطان لم يكن واضحاً أيضاً ، ويرى الكثيرون من الباحثين ، أن مفهوم الشيطان لم يعرفه بنو إسرائيل ، إلا بعد السبي البابلي بعد أن تأثروا بعقائد شعوب بابل وما بين النهرين .

وتتضح شخصية الشيطان في التوراة بشكل كبير في سفر أيوب حيث تورد أنه دخل مع أبناء الله على حضرة الله فحاوره الله حتى أسفر الحوار عن قصة امتحان العبد أيوب .

تقول التوراة: (وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم . فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها . فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقي أيوب الله . الخ) سفر أيوب 1 : 6-9 .

ويستمر الحوار حسب زعم التوراة بين الله والشيطان طويلاً ويلقاه مع أبناء الله أكثر من مرة . فالشيطان في هذه القصة التوراتية حسود لا يحب الرجل التقي المستقيم ويستطيع - حسب زعم التوراة - أن يقنع الله كي يمتحن عبده أيوب .

وعلى الرغم مما في القصة من إلحاد وأسطورة وخرافة إلا أن ما يهمننا هنا الكشف عن طبيعة الشيطان كما نجدها في النص وكما تتكشف من تسليط الضوء عليها.

وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الأنبياء حديث عن أيوب وما مسه من ضرر بينما وردت في سورة (ص) أربع آيات تتحدث عنه ومنها آية يذكر الشيطان فيها. يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41].

وقد ورد اسم الشيطان صراحة في التوراة في قصة إحصاء داود عليه السلام للشعب.

تقول التوراة: (ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل) أخبار الأيام الأول 21: 1

وكان ذكر الشيطان على الوصف لا على التسمية فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية وجاء مرة أخرى بمعنى المقاوم في الحرب وأطلق مرة على الملك الذي تصدى لبلعام في طريقه لأنه كان بمعنى المعترض أو الضد أو الخصم المقاوم. ولم يذكر بصيغة العلم إلا حين قيل في الإصحاح 21 من سفر الأيام الأول (إنه وقف الشيطان ضد إسرائيل)⁽¹⁾.

وفي قصة أيوب التي ذكرناها سابقاً .

ويعلق العقاد قائلاً: (لم يشعر العبريون الأوائل بما يدعو إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمالاً كأعمال الشيطان، وكان العمل الواحد عندهم ينسب تارة إلى الشيطان وتارة إلى الإله كما حدث في قصة إحصاء الشعب، على عهد داود)⁽²⁾ ففي المرة الأولى كان الشيطان هو الذي أغوى داود وفي المرة الثانية كان الإله هو نفسه الذي أمر داود بإحصاء الشعب

(1)(2) عباس محمود العقاد. ابليس ص 94-95.

(حمي غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض وأحص إسرائيل ويهوذا) صموئيل⁽¹⁾.

وللشيطان قصة طويلة في كتاب التلمود، الذي يراه اليهود أهم من كتاب التوراة فيرى التلمود أن الله خلق الشياطين يوم الجمعة، عندما خيم الغسق ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريباً. وما كان لديه الوقت الكافي ليعمل كل ذلك. وعلى حسب رواية أخرى لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بلا جسد.

وحسب تفسير التلمود فإن الشيطان على جملة أنواع. فبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، وبعضهم مخلوق من الهواء، وبعضهم من الطين، أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها.

ويرى التلمود أن بعض الشياطين من نسل آدم، لأنه بعدما لعنه الله، أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلاً تعيساً، فيحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين.

وجاء في التلمود أن آدم كان يأتي شيطانة مهمة اسمها ليليت مدة 130 سنة فولد منها شياطين.

وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين. والشياطين حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون.

وأمهات الشياطين المشهورات أربع، استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة وكان يجامعهن.

قال التلمود: (إن إحدى هؤلاء النسوة امرأة الشيطان المسمى (شماغيل) تذهب مع بناتها في مقدمة مائة وثمانين ألف شيطان بصفة رئيسة عليهم ليضروا الناس في ليلتي الخميس والسبت، وليليت السابق ذكرها، عصت آدم. فعاقبها الله

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94-95.

بموت أولادها . فهي تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها . ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي لها عليهم السلطة إذا تليت عليهم ثلاث أسماء من أسماء الملائكة . وهي تعوي دوماً كالكلاب ويصحبها مائة وثمانين ملكاً من الأشرار .

وتوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات ، دأبها الرقص دون أن تستريح وهي تصحب معها مائة وتسعاً وسبعين روحاً شريرة .

أما محل سكن الشياطين ، فقال الحاخامات : (إن بعضهم يسكن في الهواء . وهم الذين يسبون الأحلام للإنسان) . وبعضهم يسكن في قاع البحر وهم الذين يتسبون في خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم وبعضهم يسكن في أجساد اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا .

ويرى التلمود أن اثنتين من الشيطانات تسكنان في جبال الشرق المظلمة اسمهما إذا . وإذائيل . وهما اللتان علمتا السحر لبلعام وأيوب . وكان يحكم الملك سليمان على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا السبب في حضور بلقيس إليه⁽¹⁾ . من خلال ما تقدم نرى أن كلام التلمود هو أقرب إلى الهذيان والأسطورة . وفيه من معالم الكفر ما لا يعد ولا يحصى .

ونلاحظ أن ما عجزت التوراة عن ذكره عن الشياطين ، قدمه التلمود ولكن بأسلوب خرافي أسطوري يعبق برائحة الكفر والإشراك بالله والتجني على آدم وحواء .

(1) يوسف نصر الله . الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 62 - 63 .